الحركات الاستقلالية عن الحكم العثماني في المنطقة العربية وبداية ضعف الدولة 1590 – 1835

أ. فوزي بدر محمد سالم

الاكاديمية الليبية للدراسات العليا ـ فرع المرج

Wehearsee2013@gmail.com

https: //orcid.org/009-0004-3456-029

المستخلص:

جاء هذا البحث العلمي تحت عنوان "الحركات الاستقلالية عن الحكم العثماني في المنطقة العربية وبداية ضعف الدولة"، واعتمد علي عنصرين أساسيين للوصول للغاية المرجوة منه هي "مظاهر وعوامل ضعف الدولة العثمانية"، وهذه العوامل منها عوامل داخلية: تمثلت في تعاقب مجموعة من السلاطين الضعفاء علي عرش الدولة بعد حكم السلطان هارون الرشيد، وازدياد اعتماد الدولة علي الانكشارية منذ عهد السلطان محمد الفاتح، وفساد هذه الانكشارية، وكذلك الازمة الاقتصادية التي أربكت الدولة نتيجة لتوقف الفتوحات العثمانية ، وانقطاع مواردها. وعوامل خارجية: ساعدت في اضمحلال الدولة، وتدهورها، علي رأسها وجود الامبراطورية الرومانية المقدسة، وهي خصم عنيف للعثمانيين، وكذلك البنادقة الايطاليين الذي أنحصر صراعهم مع العثمانيين في المجال البحري، وروسيا القيصرية التي ظهر عدائها لهم منذ القرن السادس عشر، والدولة الصفوية المجاورة لتخوم الامبراطورية العثمانية الجنوبية.

و"الحركات الاستقلالية عن الحكم العثماني في المنطقة العربية ", لم تبدأ فجأة ، بل تطورت عبر مراحل عديدة من الوعي القومي ، والتحول السياسي داخل الدولة العثمانية، ومع الحرب العالمية الاولى، وما تلاها من سقوط للنفوذ العثماني في المشرق العربي خصوصاً، تبلورت المطالب العربية اكثر فأكثر ، ومن أهم هذه الحركات: الـ معن في لبنان، والـ ظاهر عمر في فلسطين، وأحمد باشا الجزار ، الذي يعود نسبه الي البوسنة ، ومحمد علي بك في مصر وهو أيضاً مقدوني الاصل، والاسرة الحسينية في تونس ، وحكم الاسرة القرمانلية

في ليبيا، وأن كانت هذه الحركات في ظاهرها انفصالية، الا أنها في جوهرها لا تخلو من تبعية للباب العالي.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية_ الحركات الانفصالية_ فساد الانكشارية_ عوامل الضعف. محمد ابوالذهب _ الأسرة القرمانلية.

Abstract :

This research, entiled " Inddependence Movements from Ottman Rule in the Arab Region an the Beginning of the States Weakness, " relies on two fundamental elements to achieve its intednded goal . The first element us " Manifesations and Factors of the Ottman States Weakness, " These factors included internal ones : the succession of a series of weak sultans after the reign of sultan Harun al-Rashid , the states increasing reliance on the Janissaries since the reign of Sultan Mehmed the Conqueror, the corruption of these Janissaries and the economic crisis that plagued the state as a result of the cassation of Ottman conquests of the depletion of its resources. External Factors also contributed to the states decline and deterioration . Chief among these were the the Holy Roman Empire, a fierce adversary of the Ottomans, the Venetians, whose conflict with the Ottomans was confined to the maritime domain, Tsarist Russia, whose hostility towards them emerged in the sixteenth century, and the Safavid state, which bordered the southern frontiers of Ottoman Empire .

and the " Independence Movements from Ottoman Rule in the Arab region " did not begin suddenly , but rather developed through several stages of national conscicousness and political transformation withine the Ottman state . wuth the First World War and the subsequent decline of Ottman influence, particularly in the Arab Levant, Arab demands crystallized more and more . Among the most important of these movements were : the Ma,an in Lbanon , the Zahir al-Umar in Palestine, Ahmad Pasha al-Jazzar, whose lineage traces back to Bosnia , Muhammad Ali Bey in Egypt , (also of Macedonian oginin) , the Husaynid dynasty in Tunisia , and the rule of

Karamanli dynasty in Libya . Although these movements appeared to be separatist, in essence they were not free from subservience to Sublime porte .

Keywards : Ottman Empire – Separatist Movements – Janissary Coruption – Al Maan – Factors of Weakness – Muhammed Abu al-Dhab – Karamanli Dynasty .

مقدمة :

شهدت الدولة العثمانية عبر تاريخها عقوداً من التوسع العسكري ، والسياسي، وشملت تحت عفوذها في فترات القوة ، والفتوحات كل المنطقة العربية من شرق الوطن العربي الي غربه، وسيطرت بشكل شبه كامل علي سواحل البحر الابيض المتوسط بشكل شبه كامل ، قبل أن يدب فيها الوهن ، والضعف الذي ادى الي أنحصار أراضيها ، وفقد سيطرتها علي العديد من مناطق نفوذها ، وما حدث في المنطقة العربية هو نوع من المحاولات، أو الحركات الاستقلالية عن الدولة العثمانية، أو تمردات محلية ، فبقدر ما كانت بعضها نزاعات قبلية، أو نزوات امراء فردية، الا أنها انتجت حروباً بينهم تولدت خلالها تجمعات قوية يحكمها امراء محليين تمكن بعضهم من بناء قوة برية ، أو بحرية وأسطول بحري مستقل ، فنتج عن تشكيل هذه القوة امارات صغيرة ، أو دويلات ظهرت معظمها في منتصف القرن الخامس عشر ، نتيجةً لضعف الدولة العثمانية انذاك، وصراعها مع الدول الاستعمارية الحديثة . وهذه الحركات الاستقلالية جميعها ، أو ما يمكننا تسميتها بالانفصالية ، لم تكن في خلفية أمراءها وقادتها ، الانفصال دينياً عن الخلافة العثمانية ، بقدر ما كانوا يرغبون في السيطرة والتوسع علي حساب جيرانهم دون الانفصال عن الدولة العثمانية ، ولو أرتباطاً دينياً بها ، ولا يستقر لاحدهم الامر فعلياً، ويطمئن لحكمه الا بعد صدور فرماناً من السلطان العثماني بولايته.

وتكمن أهمية : دراستنا هذه في كونها سلطت الضوء علي مرحلة هامة من مراحل ضعف الدولة العثمانية ، وأسبابها ، تلك الامبراطورية التي أتسعت رقت أراضيها لتشمل العديد من الاجناس ، والاعراق تحت راية الخلافة الاسلامية . ولكون هذه الدراسة تبين لنا عوامل الضعف الخارجية ، والداخلية

التي أدت لاستغلال بعض الامراء المحليين ، والقادة لهذه المرحلة لإعلان انفصالهم عن سلطة الدولة العثمانية ، والتفرد بحكم الاراضي المسيطرين عليها .

أنتهج هذا البحث في سبيل الوصول بهذه الدراسة الي المستوى العلمي المرجو منها ، المنهج السردي ، التاريخي ، التحليلي القائم علي جمع المادة ، ومراجعتها ، وتحليل الاحداث ، وربطها لضمان تماسكها .

وهدف دراستنا هذه : هو الاطلاع علي أهم بواطن الضعف التي أدت بدولة مثل الدولة العثمانية الي العجز عن منع هؤلاء الامراء ، والقادة من الانفصال بمناطق شاسعة تمُد خزينتها بإرادات كبيرة.

وقسمت هذه الدراسة: الي مبحثين رئيسيين تطرق المبحث الاول منها "لمظاهر وعوامل ضعف الدولة العثمانية "، وأوضح نوعين من هذه العوامل بعد بيان الزمن الذي أتضحت فيه مظاهر ضعف الدولة العثمانية بدأ من عهد السلطان سليم الثاني 1566 – 1574 م ، حيث انحسرت حدود الامبراطورية ، وأنكمش أتساعها ، نتيجة للعديد من عوامل الضعف أهمها العوامل الداخلية : وما تعرضت له الدولة من أزمات اقتصادية ، نتيجة توقف الفتوحات الاسلامية ، وفساد الانكشارية التي اعتمدت عليها الدولة في أغلب مناحي السلطة ، وضعف السلاطين الذين تعاقبوا علي حكم الدولة بعد عهد السلطان سليمان القانوني 1520 – 1566 م ، وأيضاًالعوامل الخارجية : وأبرزها كان وجود الامبراطورية الرومانية المقدسة ، والبنادقة الطليان ، وروسيا القيصرية ، وحتى الدولة الصفوية المسلمة الشيعية المتاخمة لحدود العثمانيين ، وعزم هذه الدولة والامبراطوريات تدمير ما وصلت اليه الدولة العثمانية من مجد وقوة.

أما المبحث الثاني من هذه الدراسة: فقد خُصص " للحركات الاستقلالية عن الحكم العثماني في المنطقة العربية "، والتي تبلورت في الوعي القومي العربي منذ تسلم فخر الدين الثاني المعيني لأمارة الشوف عام 1590 م، حتى عودة سيطرة العثمانيين علي ولاية طرابلس الغرب ، وانهاء دولة القرمانليين فيها عام 1835 م فقد حاول بعض التابعين لسلطة الدولة في المنطقة العربية بعد اضطراب احوالها ، وما وصلت اليه من تدهور ، الاستقلال الذاتي عن الحكومة

المركزية ، ومحاولة تأسيس أسر محلية ، مما أوجد دويلات شبه مستقلة عن سلطة العثمانيين أشهرها كان " الـ معن في لبنان ، والـ الظاهر العمر في فلسطين ، ومحمد علي بك في مصر ، والدولة الحُسينية في تونس ، والاسرة القرمانلية في طرابلس الغرب " ، وكانت هذه الحركات في معظمها انفصالية السياسة ، ولكنها تابعية الدين للباب العالي ، كونه يمثل دولة الخلافة الاسلامية.

مظاهر وعوامل ضعف الدولة العثمانية:

اتسعت رقعت الدولة العثمانية في عهد السلطانيين سليم الاول ، وسليمان القانوني ، فامتدت امتداداً واسعاً في ثلاث قارات هي : آسيا ، وأوروبا ، وأفريقيا ، ولكن منذ عهد السلطان سليم الثاني 1566 ـ 1574 م ، بدأت علامات الضعف العثماني تظهر بوضوح ، فانحسرت حدود الامبراطورية ، ثم أخذت تنكمش بعد ذلك. ويعزى سبب تدهور الدولة العثمانية وضعفها إلي عوامل داخلية، وأخرى خارجية:

أولاً : العوامل الداخلية :

1) ـ تعاقب علي عرش الدولة بعد السلطان سليمان القانوني ، مجموعة من السلاطين كانوا يفتقرون الي الكفاية ، والمقدرة ، والدراية بأساليب حكم الامبراطورية العثمانية ، فقد أحتجب هؤلاء السلاطين الضعاف في

قصورهم ، وأهملوا قيادة الجيوش في الحروب ، وابتعدوا عن الشريعة الاسلامية وتطبيق أحكامها ، وتأثروا بالغرب الاوروبي.

2) ـ ازدياد اعتماد الدولة علي الانكشارية منذ عهد السلطان محمد الفاتح 1451 ـ 1481 م ، مما ترتب عليه إهمال الجنود الاقطاعيين من (السباهية الفرسان)*، ولم يُظهر هؤلاء كفاءة عسكرية أمام الجنود الاوروبيين ، فضلاً علي أن الدولة باعت أراضي الاقطاعيين العسكر الى أفراد غرباء عن الجيش ، ونجم عن هذا أن تناقصت أعداد الفرسان تناقصاً خطيراً في الجيش العثماني ، وفي الوقت نفسه ازدادت قوات الانكشارية زيادة كبيرة ، شكلت عبأً علي الدولة (1) .

3) ـ فساد الانكشارية : وذلك حين سمحت الدولة لأفراد فرق الانكشارية بالزواج في أواخر القرن السادس عشر ، مما ترتب عليه أن أصبح الانتماء الي الانكشارية وراثياً دون أي اعتبار للكفاءة العسكرية . وقد أجازت لهم الدولة ممارسة التجارة وغيرها من أنواع النشاط ، وكانوا لا يقيمون في الحصون ، والثكنات بقدر ما يقيمون خارجها ، ففقدوا صفاتهم العسكرية ، وتدخل رؤساءهم في الشؤون السياسية ، فكانوا يطالبون بعزل السلطان ، أو قتل كبار موظفي الدولة ، وقد يوافق السلطان العثماني علي مطالبهم مرغماً .

4) ـ الازمة الاقتصادية : تهالك الاقتصاد العثماني نتيجة لتوقف الفتوحات العثمانية ، وانقطاع مواردها بالتالي . وذلك بسبب تزايد أعداد الجنود الانكشارية ، والموظفين الذين يتقاضون المرتبات ، وتناقصت واردات الدولة بسبب فساد نظام الالتزام ، وجباية الضرائب ، كما تأثر الاقتصاد العثماني بسبب نقص واردات الرسوم الجمركية .

* سباهي : فارس سباهي كلمة فارسية الاصل تعني الجيش أو العسكر ، وقد أطلق العثمانيين كلمة سباهي علي فئة من الجند أصحاب التيمارات والزعامات الذين يمثلون نبالة عسكرية في الدولة العثمانية ، وهم ملزمون بتجهيز عدد معين من الجنود الخيالة ، ومرافقتهم في الحرب علي نفقتهم الخاصة مقابل بعض الموارد التي تدرها عليهم أرض تمنحها لهم الدولة ، وفي حالة السلم فأن السباهي يقوم بتقسيم أرض التيمار وتأجيرها كمزارع فلاحية ، وهناك فئة من السباهيين خيالة تقوم بالقتال وقت الحرب . أنظر : (الجندي ، 2021 : ص 42) .

ثانياً : العوامل الخارجية : لا شك أن العوامل الداخلية مهدت الطريق لعوامل خارجية تضافرت معاً وأدت الي اضمحلال الدولة وتدهورها ، فأن التوازن القديم بين الدولة العثمانية والدول الاوروبية ، والذي كان في صالح الدولة العثمانية ، تغير لصالح الدول الاوروبية بعد تحولها من دول إقطاعية ، الي رأسمالية تجارية ، ثم رأسمالية صناعية عقب الانقلاب الصناعي ، وقد تنحصر هذه العوامل فيما يلي :

1) ـ الصراع مع الامبراطورية الرومانية المقدسة: فقد واجه العثمانيون في أوروبا خصماً عنيفاً هو شارل الخامس 1519 ـ 1556 م ، إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، فاضطروا الي عقد معاهدة مع أسرة (الهابسبورج النمساوية) * ، بعد أن تم عقد حلف صليبي ضد الدولة العثمانية لوقف هجومها علي فيينا عاصمة النمسا عام 1683 م ، وأندفع النمساويون فاحتلوا المجر واليونان ، وعقدوا معاهدة (كارلو *فيتز* *Carlowits*) * ، عام 1699 م ، تخلى بموجبها العثمانيون عن كل المجر ، وترانسلفانيا ، ومودوليا ، وتخلوا بعد ذلك عن مناطق أخرى .

2) ـ خطرالبنادقة: أنحصر الصراع بين العثمانيين والبنادقة في المجال البحري فقط ، وقد أضطر العثمانيون الي التخلي عن جزيرة مالطا ، عام 1599م ، لكنهم أحتلوا قبرص عام 1570 م، قبل أن يُحطم أسطول غربي ضم قوات من البندقية ، وإسبانيا ، والبابوية، الاسطول العثماني في معركة لبانتو عام 1571 م ، وفقد العثمانيون في أعقاب هذه المعركة السيطرة البحرية في المتوسط (الصائغ، 2015: ص 22).

3) ـ التنافس الروسي : ظهر تنافس روسيا القيصرية للدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر ، وكان هدفهم السيطرة علي البحر الاسود ، وعندما فرض العثمانيون نفوذهم علي شبه جزيرة القرم أسرع الروس بفرض نفوذهم علي إصطرفان ، وقازان ، في النصف الثاني من القرن السادس عشر . وفي عام 1696 م ، أستولى القيصر بطرس الاكبر ، علي بعض مناطق أزوف ، واستمرت الحروب بين الدولتين ، وظهر الاسطول الروسي في البحر المتوسط ، وانتهت الحرب بمعاهدة كوجك كينارجي عام 1774 م ، ونتج عنها حصول روسيا علي الاراضي التي كانت تطمع في الاستيلاء عليها ، ونالت كذلك حقوقاً تجارية ، وبحرية هامة ، وحصلت روسيا علي حق مرور السفن في مضيقي البسفور والدردنيل (ياغي، 1997: ص 92 ـ 93).

4) ـ مواجهة العثمانيين للدولة الصفوية : واجة الدولة العثمانية الصفويين ، وتوقفت جيوشها عند حدود العراق مع فارس ، ولم تستطع التوغل أبعد من ذلك ، فقد أستطاع الصفويين أن يحتلوا بغداد ، وأجزاء من العراق عام 1663م ، وأنحسر بعد ذلك الخطر الصفوي عن العراق ، بعد أن قضى الافغان السنة

علي الحكم الصفوي في فارس ، عام 1722 م ، ثم تجدد بعد ذلك الصراع العثماني الفارسي حتى عقد معاهدة أرضروم ، عام 1847 م ، والتي بموجبها تحددت الحدود بين الدولتين ، وجُعل العراق ، ولاية عثمانية.

* أسرة الهابسبورج النمساوية : " ال هابسبورج *Habsbourg*)، سلالة ملكت النمسا من 1278 – 1918م، أسسها الامبراطور الجرماني رودلف الاول ، ومن أشهر ملوكها مكسمليان الاول ، وشارل الخامس، وفردنياند " ، وقد أصبح ملوك هذه الاسرة أباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة . (الصائغ ، 2015: ص 18).

* كارلو *فيتز Carlowits* : وقعت في 26 يناير 1699 م ، بين الدولة العثمانية ، والامبراطورية النمساوية ، أُجبرت بمقتضاها الدولة العثمانية التنازل عن غالبية أراضي المجر ، وهي أول معاهدة توقعها الدولة العثمانية باعتبارها دولة مهزومة ، وغدت بموجبها أوروبا هي التي فككت وحدة الامبراطورية العثمانية . (عيسى، 2017: ص 149 – 150).

الحركات الاستقلالية عن الحكم العثماني في المنطقة العربية :

بسبب ضعف الدولة العثمانية ، واضطراب أحوالها خاصةً في الولايات العربية فقد ظهرت رغبة بعض الزعماء المحليين بالاستقلال عنها ، اما لشعورهم بحالة الضعف ، والتدهور الذي وصلت اليه احوال الدولة العثمانية ، أو لكونهم كونوا قوة محلية ، تمكنوا بها من الاستقلال الذاتي عن الحكومة المركزية ، فاستطاعوا تكوين حكم محلي ، ومن أهم هذه الحركات الاستقلالية عن الحكم العثماني في المنطقة العربية ما يلي :

أولاً: الـ معن في لبنان: أعترف السلطان سليم بأمير الشوف في لبنان المسمى فخر الدين المعيني، عام 1516 م ، وأعترف بكل امتيازاته المتوارثة وفقاً لتقاليد أجداده التي ترجع الي عهد المماليك ، وأشترط عليه دفع جزء من الضرائب التي يحصل عليها لخزانة الدولة .

لكن فخر الدين المعني الاول ، اغتيل في ظروف غامضة بإيعاز من والي دمشق فخلفه أبنه قرمقاز – قرماس عام 1544م . والذي قتل هو أيضاً بالسم ، وخلف وراءه ابناً كان له من العمر أثنا عشر سنة سمي باسم جده فخر الدين ، فقامت

أمه الارملة بإخفائه عند ال الخازن ، في " كسراون " . (بيضون، 1992: ص 72).

فخر الدين المعيني الثاني: تولى أمارة الشوف في عام 1590م، وكان أقدر الشخصيات ، وأحبها الي الناس في تاريخ لبنان العثماني. وقد وضع فخر الدين المعيني الثاني، أمامه ثلاثة أهداف هي :

إقامة لبنان علي نطاق واسع، قطع أخر صلة له بالباب العالي، السير بدولته في طريق التقدم والازدهار.

وقد عمد الى تحقيق هذه الاهداف بوسائل شتى ، منها التزاوج ، والرشوة ، والدس والاحلاف ، والقتال . وقد تسلم فخرالدين الثاني ، من السلطان " سنجق بيروت ، وسنجق صيدا " ، فحمل علي جاره والد زوجته يوسف سيفا ، وأنتزع منه السيطرة علي لبنان الشمالي ، ثم ضم منطقة بعلبك ، ومنطقة الجليل ، وأصبحت أمارته تمتد من نهر الكلب ، الي جبل الكرمل . هذا الاتجاه الاستقلالي عن الدولة العثمانية فرض عليه إيجاد جيش قوي قادر علي الدفاع عن الامارة ، فتحالف مع دول أوروبية بشكل سري منها دولة " تسكانا " الايطالية سنة 1608 م ، والتي تقضي بتنشيط التجارة بينهما ، وتقوم بتزويده بالمعدات الحربية ، والقطع البحرية . (وهب، 2007: ص 15 – 17).

وعلي أثر ذلك قرر السلطان العثماني بإيعاز من والي دمشق أحمد حافظ باشا ، أن يتخذ تدابير فعلية لوضع حد لحركة فخرالدين المعني الثاني، الانفصالية، وسياسته التوسعية، فأوعز الي ولاء حلب، وديار بكر، وطرابلس، بمؤازرة والي دمشق، للقضاء علي الامير فخرالدين، الذي أستطاع الصمود أمام هذه القوة . ولكنه تراجع وترك الامارة في يد أبنه علي، يساعده أخوه يونس، ورحل الي " فلورنسا " ، ومكث بها خمس سنوات ، وبعد ذلك أصدر السلطان العثماني عثمان الثاني ، عفواً عليه ، عاد بموجبه الي أمارته، وما كاد يستقر فيها ، ويطور منها ، حتى عاد الي أعلان التمرد علي الدولة العثمانية من جديد عام 1635 م، مستغلاً انشغالها بحروبها مع الدولة الصفوية، فوسع حدود دولته بعد أن هزم والي دمشق.

أضطر السلطان مراد الرابع ، الي توجيه أسطولاً الي الساحل السوري ، فأحتل المرافئ ، وفي نفس الوقت أستدرج علي أبن الامير فخر الدين، لخوض معركة فاصلة دارت رحاها في السهول ، فهزم هزيمة شنعاء ، ولقي حتفه ، فأضطر فخر الدين ، أن يسلم نفسه ، وحمل الي إسطنبول ، حيث قطع رأسه، ورؤوس بنيه الثلاث عام 1635م . (الشيخ، 1994: ص 50). وعمد والي دمشق أحمد باشا الكويرلي ، الي تشريد العديد من العوائل ديارهم ، وقطع أعداد هائلة من الاشجار المثمرة ، وعاد حكم العثمانيين المباشر علي جبل لبنان ، وقد أستعان العثمانيون بالأمراء الشهابيين، الذين خلفوا المعينيين، في الوفاء بالتزامات المنطقة المالية للدولة .

ثانياً: الـ ظاهر عمر في فلسطين : ينسب ال ظاهر العمر ، الي الزيادنة ، وهم من أعقاب الحسين بن علي ، وقد ولد الظاهر عمر، عام 1689 م، وقد خلف أباه علي صفد ، وضم طبرية ، وجدد قلعتي طبريا وصفد ، وخضعت له بلاد نابلس ، ويافا ، والناصرية ، وضم عام 1750 م، مدينة عكا ، وأتخذها مقراً له ، فبني فيها قصراً ، وسوراً ، وبرجاً ، ثم أحتل مرفأ صيدا ، بعد أن تحالف مع المقاومة فيها (الشيخ ، 1994: ص 61 – 62).

كان الظاهر عمر، حاكماً مطلقاً محباً للخير ، وكانت البلاد في عهده براحة، وأمان، وكان يدفع المال الي الحكومة العثمانية ، ولكنه رغب في الاستقلال التام عن الدولة العثمانية ، وراء أن الطريق مناسب لذلك ، فتحالف مع حاكم مصر المملوكي (محمد بك الكبير) ، الذي قام بتحدي السلطان ، فرفع الظاهر عمر ، لواء العصيان معه، وأستطاع بمساعدة علي بك ، والروس ، ضم يافا ، وغزة ، والرملة ، واحتلال صيدا ، عام 1772 م، وبذلك وصل الظاهر عمر ، الي قمة مجده ، وقوته السياسية . استاءت الدولة العثمانية من تصرفات الظاهر العمر ، الذي خرج عنها ، والتجاءه لطلب المساعدة من الاسطول الروسي أكبر أعداء الدولة العثمانية ، فبدأت تحيك له ولحليفه علي بك ، المؤامرات حتى أنهار الحليفين بعد أن غدر محمد أبو الذهب ، بسيده علي بك ، وقضى عليه ، وأعاد اعترافه بالدولة العليا ، وبذلك تفرغت الدولة العثمانية للظاهر عمر ، الذي خسر خسراناً كبيراً سياسياً ، وعسكرياً ، واستعانت بـ يوسف شهاب ، حاكم جبل لبنان ، كما أوعزت للقائد أحمد الجزار الالباني ، وبمساعدة الاسطول العثماني

تمكنوا من احتلال صيدا ، عام 1775 م ، وتم محاصرة الظاهر عمر ، في قاعدته الحصينة عكا ، من البر، والبحر، وظل يقاوم الحصار حتى فرغت ذخيرته ، فحاول الهروب ، ولكن محاصريه قبضوا عليه ، وقتل عام 1775 م ، وقد أعتبر الظاهر عمر ، خارجاً علي الخلافة لأنه أستعان بأكبر أعداء الدولة وهم الروس. (بيضون ، 1992: ص 71 – 76)

ثالثاً: أحمد باشا الجزار: يعود أصل الجزار الي البوسنه ، وانتهى به الامر مملوكاً لعلي بك ، في القاهرة ، وقد أنس فيه سيده القوة ، والصرامة ، ووجده غليظ القلب ، فعينه جلاداً، وقد أظهر من التفنن في إتقان مهمته والرغبة بها مما أكسبه لقب الجزار ، لكنه حدث بينه وبين سيده علي بك الكبير ، خلاف ، فهرب من مصر ، واتجه للدولة العثمانية ، التي رحبت به ، وعينته والياً علي صيدا عام 1819 م ، بعد ان قام بخدمات ضد الظاهر عمر ، وضمت اليه عكا ودمشق ، ثم أخذ يتوسع في غزوه ، فوقعت بينه وبين يوسف الشهابي ، معركة أنتصر فيها الجزار ، وانتصر أيضاً علي عسكر لبنان ، وداهم بجيشه مدينة بعلبك ، وامتد نفوذه الي البقاع ، الي أن سيطر علي نابلس ، ونقل مركزه عام 1779 م ، التي قواها ، وأنشأ فيها الحصون ، والابراج ، وأبدع في إنشاءاتها ، فكان أبدع مظهر للبناء في العهد العثماني في بلاد الشام (ياغي، 1997: ص 113 – 114) .

انتهز الجزار، فرصة تجديد الحرب بين روسيا ، والدولة العثمانية ، عام 1790 م ، فقام بإجلاء الفرنسيين من مقرهم التجاري ، وأمر القنصل الفرنسي بمغادرة عكا . وقد عمد الجزار، الي بناء أسطول بحري ، وجيش من المشاة ، وحصن مركز عكا ، وعندما وصلت أخبار حملة نابليون بونابرت *Napoleon Bonaparte* ، أخذ الجزار ، يستعد لمقاومته ، فحصن المدينة ، وزودها بالمدافع ، والقنابل ، والبنادق وغبرها من أدوات الحرب .

وفي عام 1799 م ، أتخذ الجيش الفرنسي مواقعه أمام عكا ، دون أن تكون لديه مدافع ضخمة ، وأعطى نابليون *Bonaparte* ، أوامره بالهجوم عليها ، ورد المدافعين عن عكا ، بنيران مضادة دمرت أربعين مدفعاً، وعطلت مدافعهم جلها ، واستمروا الفرنسيين في حصار عكا ، وعزز الحصار الطويل للمدينة بقوات فرنسية بقيادة (كليبر *Kleber*) * ، لكنها لم تنجح أيضاً في اقتحام

المدينة ، فقرر نابليون الرحيل عنها ، وقذفها بجميع ما يملك من مدافع لمدة أربعة أيام متوالية ، ثم رحل الجيش الفرنسي بعد حصار دام ثلاثة وستون يوما . وقد كان لصمود الجزار، في عكا ، وإفشاله لمحاولة نابليون *Napoleon* ، أكبر الاثر لدى السلطان العثماني ، فارتفعت مكانته، ولم تحاول الدولة العثمانية أن تنغص عيشه ، فظل يحكم المنطقة حتى عام 1804 م ، حيث مات وهو ينعم بالهدوء ، ورغد العيش . (بيضون، 1992: ص 76 – 78) .

رابعاً: محمد علي بك في مصر: ولد محمد علي ، في قوله ، علي الساحل المقدوني ، ببلاد اليونان عام 1769 م، ولم يحظى بتربية مدرسية صحيحة ، فعمل بالتجارة ، وعندما كلف السلطان العثماني سليم الاول ، والي اليونان أن يرسل كتيبة مؤلفة من ثلاث مئة مقاتل لمصر لمحاربة الفرنسيين ، صادف أن كان نائب الوالي في اليونان عم محمد علي ، فقام نائب الوالي بأرسال كتيبة بقيادة أبنه الصغير وبمساعدة أبن عمه محمد علي لهذه المهمة (صبري ، 1926: ص 31).

لمع نجم محمد علي ، كقائد فعلي للمعارك ضد الفرنسيين ، حتى أصبح الرجل الثالث بين القادة العثمانيين في مصر. وقد أتضحت قدراته القيادية عندما تولى خورشيد باشا ، ولاية مصر ، فأستطاع محمد علي ، استغلال حالة الوعي الوطني لدي المصريين للاستقلال عن العثمانيين ، فوضع خطة لتحقيق ذلك بالتقارب الي المصريين من جهة ، والتعاون مع المماليك من جهة ثانية ، والتحبب الي العلماء ليكسب ثقة الجميع .

وعندما أرتكب جند خورشيد باشا ، بعض المفاسد بناء علي أوامر الوالي الذي كان يتصرف بعنجهية الاتراك، |أدى ذلك الي ثورة الشعب في القاهرة ضد حكم الوالي العثماني ، وانتهت هذه الثورة بأن اجتمع زعماءها ، وأعلنوا عزل الوالي العثماني خورشيد باشا ، واختاروا محمد علي ، والياً لمصرعام 1805 م ، وقد أقرت الدولة العثمانية بذلك ، فصدر فرمان سلطاني نزولاً عند رغبة الشعب المصري بتعيين محمد علي ، والياً علي مصر (بيضون، 992 : ص 79). واجه علي بك ، مصاعب كثيرة من قوى متعددة في مصر ، حاولت أن تعوقه عن تحقيق مشروعاته والتمتع بمصر دون منافس ، فلم يكد علي بك ، يعتلي كرسي مشيخة البلد بالقاهرة حتى وجه أنظاره الي الصعيد تارةً ، والي

الحجاز ، والشام تارةً أخري ، الي أن خلُصت له مصر بوجهها القبلي ، والبحري بعد عدة معارك وحملات خاضها. وما كان ليتم له ذلك دون نزاع مع الدولة العثمانية ، أذ كانت هذه الدولة يهمها الا ينفرد شخص بالأمور في مصر، فقد كانت تعمل علي إيقاد نار الفتنة بين البكوات ، حتى يقضي بعضهم علي بعض.

قرر علي بك ، أتخاذ خطوات استقلالية عن الدولة العثمانية، فأعلن رفضه لقبول باشا من استانبول ، ومنع الاموال الميري ، المقررة سنوياً علي مصر ، من الوصول للدولة العثمانية ، وضرب النقود في مصر، باسمه ، وطرد كل من يُظهر ولاء للدولة العثمانية ، من الدواوين التابعة له ، كما حاول تحويل تجارة الشرق الاقصى الي البحر الاحمر ، فالسويس بديلاً عن طريق رأس الرجاء الصالح ، كما نجح في الاستيلاء علي الحجاز ، وعزل واليها العثماني ، وجعل ولايتها لمملوك من أتباعه ، وأرسل الجيوش لمناصرة صديقه الشيخ الظاهر عمر ، في بلاد الشام ، والذي كان له نفس الهدف في عزل بلاد الشام عن الدولة العثمانية (الشيخ ، 1994: ص 205 – 208).

تمكنت جيوش علي بك ، بقيادة القائد العام للحملة محمد بك أبو الذهب ، من أحراز انتصارات عديدة ، وقد لقي أبو الذهب ، معاونة صادقة من الشيخ الظاهر عمر ، فسقطت في يد الجيش المشترك كلاً من غزة ، ويافا، ونابلس ، واللد ، والرملة ، وصيدا ، حتى سقطت دمشق ، نفسها عام 1771 م . ولكن عندما طلب علي بك ، من محمد أبو الذهب ، الاستمرار في الزحف بعد دمشق ، وقع نزاع بين الرجلين ، وهو النزاع الذي أرجعه البعض الي العديد من الاسباب ، وقد يكون علي رأسها استمالة الدولة العثمانية لمحمد أبو الذهب ، وإغرائه بملك مصر ، إذا خرج علي سيده ، وقضى عليه . وبعد أن تشاور أبو الذهب ، مع أمراءه قرر العودة منسحباً بجيشه الي الشام ، وهذا ما زاد من حدة النزاع بين علي بك ، وقائد جنده ، فكان من السهل علي أبو الذهب ، أن يتغلب علي سيده الذي غادر مصر ، الي جهة الشام ، ومن هناك حاول أن يعود الي مصر ، بمساعدة صديقه الظاهر عمر ، كما وعد الكونت ألكسس أرلوف *Alexis Aralv* ، قائد الاسطول الروسي في البحر المتوسط بأمداده ببعض الاسلحة لاستخدامها في زحفه علي مصر . فزحف علي بك ، صوب مصر ، حتى وصل الي الصالحية ، بالشرقية في 26 أبريل 1773 م ، فالتقى مع جيش يقوده

ابوالذهب ، في معركة كان النصر فيها حليفاً للأخير ، وجرح علي بك ، فتلقاه مملوكه محمد أبو الذهب ، وحمله الي القاهرة ، وأخذ يقدم له الرعايا الطبية ، الا أنه مات في 8 مايو 1773 م. وبموت علي بك ، خلصت مصر لحكم محمد بك ابو الذهب (الشيخ ، 1994: ص 211 – 212).

خامسا: الاسرة الحُسينية في تونس: حكمت تونس، أسرة البايات المرادية نسبة الي مؤسسها مراد بك، الذي حكم من 1612 – 1631 م ، وتلاه أبنه حمود، الذي أستطاع إقرار الامور في تونس ، بالقضاء علي الثورات العربية، وصد هجوم فرسان القديس يوحنا، علي السواحل التونسية ، وأستمر الصراع بين أبناءهم علي منصب الباي، حتى انتهت الاسرة المرادية ، بقتل جميع أفرادها ، فأستغل زعيم الفرسان حسين بن علي ، الاضطرابات ، والفوضى فنادوا به بایاً، علي تونس لحب الشعب له.

تمكن حسين بن علي، وهو أحد رؤساء الجند من الاستيلاء علي الحكم عام 1705 م، بموافقة القادة ، والاهالي ، ومبايعة العلماء ، قبل ان يأتيه فرمان الولاية من استانبول ، وهكذا قامت الدولة الحسينية.

لم يمضي خمسة أعوام علي وجود حسين بن علي، في السلطة 9 حتى أعلن عن نيته توريث الحكم لأبناء أسرته . وأستطاع أن يصلح شئون البلاد ، وكون قوة حربية مجهزة تجهيزاً حديثاً ، وازدهرت الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وحكم من بعده بايات ، حكماً مستقلاً عن الدولة العثمانية ، ولكنهم كانوا يُعدون انفسهم تابعين لها من الناحية الدينية ، وكانوا يشاركون الدولة العثمانية ، في حروبها في القرم .

تورط التونسيون ، في علاقتهم المالية بالأجانب ، واستعانوا بالشركات الانجليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، في مشروعاتهم ، وبذلك مهدوا الطريق أمام المستعمرين ليحققوا اطماعهم في البلاد. وفي عهد الباي محمود ، الذي حكم تونس من 1864 م ، الي مجيء الاحتلال الفرنسي عام 1881 م ، وصلت البلاد الي أزمة مالية أدت الي تدخل إنجليزي ، فرنسي في شئون تونس ، الداخلية أفضى في النهاية الى الاحتلال الفرنسي لها (ياغي، 1997: ص 138 – 140).

سادساً: الاسرة القرمانلية في طرابلس الغرب: أبتدأ حكم الاسرة القرمانلية ، في طرابلس الغرب عند انتهاء ما عرف بالعصر العثماني الاول في 1551 م ، وذلك لضعف الدولة العثمانية ، وانهيار تنظيمات الحكم ، ما ادى الي استئثار الكثيرين من قادة الجند، أو زعماء العصبيات المحلية بالسلطة المحلية في بلادهم، ومن بين هؤلاء أحمد يوسف القرمانلي ، مؤسس الاسرة القرمانلية ، وهو من أصل عثماني ، ولقد لقب أحمد القرمانلي ، بالباشوية، بعد صراع طويل مع الباب العالي عام 1711 م ، وتم توليته علي طرابلس رسمياً .

وقد حدثت العديد من الفتن، والثورات في عهده، ولكنه أستطاع أن يخمدها جميعاً بفضل قوته ، وحسن تصرفه ، ومؤازرة أعوانه ، وقادته له. وأقام أحمد القرمانلي، علاقات طيبة مع قناصل الدول الاوروبية في طرابلس ، ولكن علاقته مع دولهم كانت تتسم بالعداء بسبب سياسته البحرية القائمة علي توجيه سفن الاسطول لمهاجمة سفن الدول الاوروبية ، وعرف عته أستمراره في أرسال الهدايا للسلطان العثماني ، حتى يضمن بقاءه في الولاية . وقد عهد أحمد القرمانلي ، قبل وفاته أدارة شؤون البلاد الي أبنه محمد ، عام 1745 م ، وتوالى الحكم القرمانلي علي ولاية طرابلس الي أن وصل يوسف باشا ، كرسي الولاية ، وتثبت حكمه بموجب فرمان من استانبول ، في 1795 م ، وامتدت سلطته الي كل أنحاء البلاد ، فشملت أقاليم طرابلس ، وبرقة ، وفزان ، ولذلك أعتبر أعظم أمراء الاسرة القرمانلية (ياغي ، 1997: ص 143 – 151) .

أقام يوسف باشا ، علاقات صداقة طيبة مع الفرنسيين ، وصلت الي حد أن نابليون بونابرت ، بعد تحطم أسطوله في موقعة (أبي قير البحرية) *، عند احتلاله لمصر ، أبلغ عن طريق قنصله في طرابلس يوسف باشا، بنبا الكارثة التي حلت به في ابي قير ، فارسل اليه المؤن ، والاغذية اللازمة من ليبيا الي الحامية الفرنسية التي تركها في جزيرة مالطا ، وقبل أن يرسل بريده الي فرنسا عن طريق طرابلس وتحت حماية (يوسف باشا)، وتم عقد معاهدة بين القنصل الفرنسي ويوسف باشا، عام 1801 م ، تؤمن لنابليون ما أراد .

استاءت الدولة العثمانية من هذا الاتفاق ، كما استاءت انجلترا أيضاً، وطلبت منه قطع علاقته مع الفرنسيين فرفض ذلك ، ووصل الامر بأن هددت انجلترا بقصف طرابلس ، بالقنابل ، فرضخ لأوامر انجلترا ، وسلم القنصل الفرنس ،

ومواطنيه، واستمر الصراع بين فرنسا ، وانجلترا ، حول النفوذ في ليبيا. أما علاقة الباشا بالولايات المتحدة الامريكية فقد أتسمت بالتوتر ، ونوع من الفتور ، وذلك بسبب مهاجمة السفن الامريكية في البحر المتوسط، وازدادت العلاقات الليبية الامريكية سواء بسبب حادثة الفرقاطة الامريكية فيلادلفيا ، التي أسُرت من قبل البحارة الليبيين، وتطور الامر بين الامريكيين ويوسف باشا، الي حد الصدام العسكري ، وارسال الحملات العسكرية لإجبار يوسف باشا ، علي الموافقة علي الطلبات الامريكية ، الي أن تم عقد صلح في 1805 م ، بين الولايات المتحدة الامريكية ويوسف باشا. بدأ الضعف يدب في الاسرة القرمانلية ، بعد ظهور عدة مصاعب خارجية ، وداخلية ، فقد انتشرت القبلية ، وشملت البلاد الاضطرابات والفوضى ، فقل دخل البلاد ، وزادت الضرائب علي المواطنين ، فأنتشر التذمر بين الناس ، وعجزت الخزينة عن متطلبات تمويل الجيش ، وعمل يوسف باشا ، لإنقاذ نفسه ، وحكومته من الافلاس بشتى الطرق ، فلجأ الي الاستدانة من الرعايا الفرنسيين ، والبريطانيين . وأدى ذلك الي قيام ثورة ضد الوالي انتهت بتنازله عن الحكم لولده علي ، في أغسطس 1832 م ، ولم تلبث الدولة العثمانية أن قررت التدخل لعزل علي باشا ، وإسقاطه عن العرش ، وأعاده حكمها المباشر لطرابلس ، وذلك بعد احتلال فرنسا للجزائر مما دفع السلطان محمود القاني ، عام 1835 م ، الي أرسال أسطول الي طرابلس ، بقيادة مصطفى نجيب ، الذي أخرج علي باشا القرمانلي ، من البلاد ، ونفاه الي استانبول ، وعادت ليبيا مرة أخرى ولاية عادية من ولايات الدولة العثمانية (ياغي، 1997: ص 151 – 156).

سابعاً ـ الحركات الدينية في الدولة العثمانية : هناك دعوات دينية ظهرت في نطاق سيطرة الدولة العثمانية : فالدعوة السلفية التي ظهرت في نجد ، تُعد بادرة حركة انفصالية ، أو استقلالية عن الدولة العثمانية ، بل هي حركة اصلاحية دينية ، لم تتطلع في بادي الامر الي السيطرة السياسية ، أو استهداف الوصول الي سدة حكم البلاد ، وبالتالي فهي حركة تصحيحيه دينية ، لا يمكن اعتبارها حركة استقلالية عن الدولة العثمانية .

* معركة ابي قير: دارت رحاها مقابل سواحل الاسكندرية بين الاسطول الفرنسي الراسي في ميناء أبي قير ، والاسطول الانجليزي المحارب له بقيادة (

نيلسون *Nelson*) ، والذي فأجاء بسفنه الاسطول الفرنسي ، وأبدأ البحارة الفرنسيين شجاعة فائقة في دفاعهم عن سفنهم التي بدأت تنهار أمام ضربات الاسطول الانجليزي ، وادت معركة (ابي قير) ، الي خسائر جسيمة في الجانب الفرنسي فقد تم أغراق سفينتين عظيمتين ، وحرق فرقطتين ، ووقعت تسع سفن في أيدي الانجليز ، وقتل ، أو غرق ما لا يقل عن الف وسبع مئة من البحارة الفرنسيين ، وجرح حوالي الف وخمس مئة وقع جلهم في الاسر ، وخسر الجانب الانجليزي في هذه المعركة مائتان وثمانية عشر قتيلاً ، وست مئة وسبعة وسبعون جريحاً ، أما السفن الانجليزية فلم تغرق ، أو تحرق ، ولكنها تشكو من أصابات بالغة أعجزتها عن مطاردة السفن الفرنسية الناجية من هذه المعركة . (هنري لورنس ، 1995: ص 177 –179).

وقد اجتمعت في الدعوة الوهابية ، بعد حماية الامير محمد بن سعود ، للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، بعد تحالفهما عام 1745 م علي نصرة الحق ، ومحاربة الشرك ، وأن يكون الامير محمد بن سعود ، امير الدرعية ، الزعيم السياسي للموحدين ، و محمد بن عبدالوهاب ، زعيمهم الديني ، أنها دعوة دين ، ودنيا.

وبما أن الدولة العثمانية لم تسيطر فعلياً علي قلب شبه الجزيرة العربية ، ولم تشهد نجد ، ولاة عثمانيين ، ولا حامية عثمانية تجوب خلالها ، فرأت ان تكون خطة الدولة في محاربة السعوديين ، والحركة الوهابية ، بأن تلقي عبء هذه المهمة علي كاهل الولاة في الاقطار المجاورة ، وهذا ما حدث بالفعل.

خاتمة البحث:

خلص هذا البحث الي أن ــ ما حدث في منطقة الخليج العربي لا تُعد حركات انفصالية عن الدولة العثمانية بقدر ما كانت نزعات قبلية ، أنتجت حروباً بين قبائل المنطقة ، تولدت خلالها تجمعات قوية يحكمها أمراء محليين ، تمكن بعضهم من بناء قوة برية محلية ، أو قوة بحرية ، وأسطول بحري مستقل ، نتج عن تشكيل هذه القوة، وتوحيد بعض هذه القبائل في أمارات صغيرة ، أو دويلات ظهرت معظمها في منتصف القرن التاسع عشر نتاج الصراعات القبلية

، ولضعف الدولة العثمانية ، وصراعات الدول الاستعمارية الحديثة ، وتضارب مصالحها ، تكونت أمارات ، ومشائخ الخليج العربي .

ــ أن الحركات الاستقلالية جميعها ، أو ما تسمى استقلالية ، أو انفصالية ، لم تكن في خلفية أمراءهم، وقادتهم ، الانفصال دينياً عن الخلافة العثمانية ، بقدر ما كانوا يرغبون في السيطرة والتوسع علي حساب الامارات المجاورة لهم ، دون الانفصال عن الدولة العثمانية ، ولو ارتباطاً دينياً بها ، ولا يستقر لاحدهم الامر فعليا ، ويطمئن لحكمه الا بعد صدور فرماناً من السلطان العثماني بولايته.

وهذا ما جعل هذه الحركات ، وأن كانت في ظاهرها انفصالية ، الا أنها في جوهرها لا تخلوا من تبعية الباب العالي في استانبول .

المراجع :

1) ــ أحمد عبدالعزيز علي عيسى، في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي ، مكتبة بستان المعرفة للنشر وتوزيع الكتب، الاسكندرية، 2017 م.

2) ــ أسماعيل أحمد ياغي ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، (ط . 1) ، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997 م.

3) ــ إيمان بنت علاء الدين إبراهيم الصائغ ، العلاقات العثمانية النمساوية 1219 ــ 1284 هـ / 1804 ــ 1864 م دراسة تاريخية حضارية ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، قسم التاريخ ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2015 م.

4) ــ جميل بيضون ، واخرين ، تاريخ العرب الحديث ، دار الامل ، (ط .1) ، بيروت ، 1992 م.

5) ــ خالد عبدالقادر الجندي ، قانون الاراضي في الدولة العثمانية الالتزام في طرابلس الشام (أنموذجاً) ، دار نشر كساد ، أنقرة ، 2021 م.

6) ــ رأفت الشيح ، تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ، القاهرة ، 1994 م .

7) ـ قاسم وهب ، رحلة الامير فخر الدين الي إيطاليا (1613 ـ 1618م) ، (ط .1) ، دار السويري للنشر والتوزيع ، أبوظبي ، الامارات العربية المتحدة ، 2007 م.

8) ـ محمد صبري ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي الي اليوم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (ط . 1) ، القاهرة ، 1926 م.

9) ـ هنري لورانس ، وأخرين ، ت ، بشير السباعي ، الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والاسلام ، سينا للنشر ، (ط . 1) ، القاهرة ، 1995 م.